

كثرة أبواب الخير

إخوة الإيمان:

قد تكلمنا في الجمعة الماضية عن فضائل فعل الخير، انطلاقاً من قول نبينا عليه الصلاة والسلام: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ شُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، وهذا الحديث لوحده لو طبقه المسلم لكان من المفلحين، ونحن اليوم بمشيئة الله وتوفيق منه سبحانه وتعالى مع بيان كثرة أبواب الخير، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ ألا أدلك على أبواب الخير؟ ولم يقل له على باب الخير، نعم أبواب الخير كثيرة، وليس الخير في العظمة، بل العظمة في الخير، فعليكم أيها المسلمون بفعل الخير وبفعل كل ما يرضي الله من الطاعات، وترك ما يعضبه من المحرمات، وإن فعل الخير هو أفضل عبادة يمكن أن تقدمها لله سبحانه وتعالى يجازينا عليها يوم لقائه.

واعلموا عباد الله أن عزَّ العبد في عبوديته لربه عز وجل، وقوة المسلم في توكله على مولاه، وغناه في مداومة الدعاء برفع حاجاته كلها إلى الله تعالى، و فلاحه في إحسانه لصلاته، وحسن عاقبته في تقواه لرب العالمين، وانسراح صدره وشروبه في برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الخلق، وطمأنينة قلبه في الإكثار من ذكر المنعم جل وعلا، وانتظام أمور الإنسان واستقامة أحواله بالأخذ بالأسباب المشروعة، وترك الأسباب المنوعة، مع تفويض الأمور كلها للخالق المدبر سبحانه وتعالى، وإنجاز الأعمال في أوقاتها بلا تأخر ولا كسل، وحسran العبد و خذلانه في الركون إلى الدنيا، والرضا بها، ونسيان الآخرة، والإعراض عن عبودية الرب جل وعلا، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاؤَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يونس] وقال تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ [السجدة] وقد جعل الله لكم عبراً في الأمم الماضية والقرون الخالية؛ فقد أعطاهم الله تعالى طول الأعمار، وجزت من تحتهم الأنهار، وشيدوا القصور، وبنوا الأمصار، ومتعوا بقوة الأبدان والأسباع والأبصار، ومكَّن الله لهم في الأرض، وسخر لهم الأسباب، فما أغنى عنهم ما كانوا فيه من القوى والنعم؟! ولا دفعت عنهم الأموال والأولاد، قال الله تعالى: وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهَا وَإِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الأحقاف]

والسعيد من اتَّعظ بغيره، والشقي من وعظ به غيره، فلا تُعزِّتكم الحياة الدنيا ولا يُعزِّتكم بالله العزور [القنن]، فاستعدُّوا للقاء الله بما تقديرون عليه من الأعمال الصالحات، ولا تُعزِّت أحدًا الدنيا وطول الأمل، فإن طول الأمل ماله إلى الندم، قال الله تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَّاهُمْ يَرْجُخْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون] واعلموا أن اجتماع الخير كله في عبادة الله وحده لا شريك له على ما وافق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع الإخلاص ومحبة الله تعالى، ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولن ينال أحدُ رضوان الله عز وجل ولن يدخل جنته ولن يسعد في حياته وبعد مماته إلا بعبادة الله تبارك وتعالى، وللعبادة خلق المكلفون، قال الله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الناريا] ولرضا الرب عز وجل بالعبادة وفرحه بها وكثرة منافعها للمكلفين، وعموم بركاتها، وسوغ خيراتهما في الدارين؛ أمر الله بها في الليل والنهار وجوباً أو استحباباً، مُفَيِّدَةً أو مُطْلَقَةً، ليستكثر منها السابقون، وليلحق بركب العباد المُقصرين، وكمال العبادة هو كمال محبة رب العالمين، وكمال الذل والخضوع للمعبود سبحانه، مع موافقة هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومن رحمة الله عز وجل ولطفه بعباده، وسعة جوده وكرمه أن شرع العبادات للمكلفين كلهم، يتقربون بها إلى الله سبحانه ليثيبهم، وبين لهم الأوقات الفاضلة التي يتضاعف فيها ثواب العبادات ليستكثرها من الخيرات، ولو لم يبين لهم الزمان الفاضل لم يعرفوه، قال الله تعالى: وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة] وقال تعالى: فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة]

وإذا شرع الله عبادة دعا المكلفين إلى القيام بها، والتقرب إلى الله بها، فإذا لم يتمكن بعض المكلفين من فعلها فتح الله للمكلفين أبواباً من الطاعات، وشرع لهم من المبرات من جنس ما فاتهم من العبادات؛ ليتنال العباد عزَّ الطاعة، وثواب القربات مثلاً: فمن لم يدرك والديه فقد شرع له الدعاء لها، والصدقة عنها، والحج أو العمرة عنها، وصلة رجمها، وإكرام صديقها، ومن أدرَكها ثم ماتا فيستمر على برِّهما، بإكرام أقاربك من أهلك وأموالهم، وخالات وغيرهم، كل هذا من بر الوالدين، فبر الوالدين باقٍ بعد موتها، وله صور متنوعة واردة في الأحاديث النبوية: منها: ما روى أبو داود في سننه، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرها به بعد موتها؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، أي الدعاء لها والاستغفار لها، وإنفاذ عهدها من بعدها، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بها، وإكرام صديقها [رواه أبو داود] كل هذا من حق الأباء على الأبناء، والحالة بمنزلة الأم، والعام بمنزلة الأب وكذلك صديق الأب وصديقة الأم.

خطبة الجمعة ليوم 03 ماي 2024 م